ساحة ثورية تكثفت ظواهرها بين أربعة جدران

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

أطلقت صالة "جانين ربيز" البيروتية دعوة مفتوحة عبر شبكات التواصل الاجتماعي وفي بعض المطبوعات الورقية لكافة الفنانين المبتدئين والمتمرّسين على حد سواء، للمشاركة في معرض خصّص كليا لثورة 17 أكتوبر، ليحمل عنوان المعرض هذا التاريخ.

ليس من الغريب على صالة عريقة كصالة "جانين ربيز" أن تبتكر معرضا حيويا مستمدا من الواقع الطازج ويتلاقى مع النفس الثوري الفني الذي يجتاح لبنان منذ الأيام الأولى لانطلاق الثورة. فمؤسّسة الصالة ومنذ منتصف الخمسينات من القرن الفائت واكبت النهضة الفنية بشكل خاص والثقافية بشكل عام، لتشكل عبر موقعها الذي كان باسم "دار الفن" خصوصية لبنانية انفتحت على شتى أنواع التجارب الفنية في لبنان وفي العالم العربي، وشكلت نقطة انطلاق وتلاقح ما بين مختلف الفنانين التشكيليين والنحاتين. كما كان للشعر الحديث وللأدب وللندوات الخاصة بهذا العالم منبر ساهم في تشكيل الوجه الثقافي للبنان.

نادين ربيز قرّرت أن تؤجل كل معارض السنة المقررة سابقا، كي تقيم معرضا فنيا مفتوحا مخصّصا حصريا لثورة 17 أكتوبر

ابنة جانين ربيز، نادين ربيز بكداش استلمت هذا الإرث من والدتها وحافظت على هذا النبض الخلاّق في استيعاب وتصدير الفن، وذلك عند افتتاحها لصالة "جانين ربيز الفنية" سنة 1992، أي عند انتهاء الحرب اللبنانية رسميا.

اليوم قرّرت نادين ربيز أن تؤجل كل معارض السنة المقررة سابقا، لأجل أن تقيم معرضا فنيا مفتوحا مخصّصا حصريا لثورة 17 أكتوبر.

ما كادت الصالة تطلق دعوتها للمشاركة بهذا المعرض حتى انهالت عليها المئات الطلبات. فقرّرت حينها نادين أن تبقي على صيغة المعرض المفتوح، أي أن تستمر عند انتهاء كل أسبوعين من عمر الثورة ومن عمر المعرض المعني بها بعرض مجموعة أخرى مُنتقاة من طلبات العرض.

أمام موجة انكفاء المعارض التشكيلية في بيروت لحظة اندلاع الثورة قرّرت صالة "ربيز" أن تواكب نبض الشارع وأن تتلقف الأعمال الفنية المتنوعة، تلك التي اشتغلت بهدوء المراسم الفنية وتلك التي ظهرت خصيصا على شبكات التواصل الاجتماعي أو على جدران الساحات عبر صور فوتوغرافية تميزت بفنية ما، وضعتها على جدران الصالة بين الأعمال التشكيلية والنحتية لتعطي نفسا حيويا يخاطب الآن كل ما هو خارج جدران الصالة. بلغ عدد المشاركين في هذا المعرض إلى اليوم 50 فنانا اختارتهم صاحبة الصالة من أعمال طلاب المدارس وطلاب الجامعات وصولا إلى المبتدئين والمتمرسين في الفن، ومنهم المعروفون عالميا كالفنان جميل ملاعب وغريتا نوفل وسمر مغربل وإيلي بورجيلي ومنصور الهبر وأرا أزاد وغادة زغبي وساشا أبوخليل وهنيبال سروجي وآلان فسويان.

ونذكر هنا بضع أسماء من الفنانين المشاركين، على غرار: آية دبس وأندرا قنديل وغسان عويس وندى متى ودانا حلواني وزينة بدران زياد الحج وسهى غندور وجوزيف حرب.

افتتح المعرض في الخامس من ديسمبر الجاري، وهو الذي شمل تنوعا فنيا بين التشكيل والتجهيز والزيت والأكريليك والنحت بالورق الجفصين والأسلاك وغيرها من المواد، علاوة على فن الفوتوغراف الذي وثق لحظات خاصة جدا بالثورة، كإضاءة الشموع.

وتقول صاحبة الصالة إن الدعوة الفنية نشأت من ملاحظتها للكم الهائل من الأعمال التي نشأت على هامش الثورة وفي وسع ساحاتها في مختلف المناطق اللبنانية، فرغبت بأن تكون مُشاركة فعّالة في دعم فن الثورة عبر إدخاله أيضا إلى رحاب صالتها الفنية والتوجه إلى الجمهور كي يأتوا ويشاهدوا "ساحة" ثورية أخرى تكثّفت ظواهرها بين أربعة جدران.

ما يميز هذا المعرض أيضا أنه خرج عن إطار عرضه لأعمال فنية اشتغل عليها الفنانون طويلا لتفتح المجال أمام أعمال فنية "فورية"، إذا صح التعبير، لم تأخذ أكثر من عدة أيام لتنجز. ومنها العمل الفني لغسان عويس الذي قرّر مسبقا أن ينتج عملا فنيا خلال 72 ساعة انسجاما مع عدد الساعات التي وضعها رئيس الوزراء سعد الحريري كمهلة قبل أن يقدّم ورقة إصلاحية يتم خلالها إنقاذ لبنان من الفساد المستشري.

رسم عويس امرأة حاملا تعبّر عن معنى الثورة من ناحية الأمل بولادة لبنان جديد، ومن ناحية ثانية ليظهر الأهمية الكبرى لدور المرأة في الثورة البنانية.

ونذكر أيضا عملا فنيا بعنوان "دراجة الثورة الهوائية" مشغولا بمادة الأكريليك على قماش وهو لسليم معوض. ويقول الفنان بأنها دراجة خاصة جدا لأنها كانت خلال أيام ولياني الثورة تأخذه إلى ساحات المظاهرات قبل أن تُسرق منه.

كما قدّم الفنان آلان فاسويان "تشكيلة" فنية جديدة من مجسماته الطريفة، ولكن هذه المرة مشغولة على الورق بمواد مختلفة أظهر فيها محور الثورة وسببها المباشر، أي مجموعة من وجوه لرجال السياسة بأنوف طويلة ووجوه مُضحكة ولئيمة في آن واحد.

وعرض أيضا وجوها لهم تخرج منها أدوات حادة كتعبير عن عداء وتربّص بالثورة المُحقة التي أخرجت الشعب اللبناني بكل طوائفه وأعماره ومن مختلف المناطق من سبات دام طويلا، وسكوت مُخزٍ ورضوخ قاتل للفساد الذي طال كلّ مرافق الدولة الحالية والحكومات التي سبقتها منذ أكثر من ثلاثين عاما.

الثورة من الشارع إلى صالة «جانين ربيز» الفنية

استعادة أرواح عمالقة الماضي أملا في صياغة مصر جديدة

الفن يمزّق الأقنعة ويقترح حياة أخرى

جورج بهجوري: غابت الحرية في مصر فضاع فن الكاريكاتير

يمثل معرض الفنان المصري جورج بهجوري الجديد، المقام حاليا في غاليري "ليوان" بالزمالك بالعاصمة المصرية القاهرة، سائر محطات الفنان الزمانية على مدار أكثر من نصف قرن، ويتقصى تنقلاته النوعية بين الكاريكاتير والاسكتشات والتصوير والحفر والسجاد والكولاج وغيرها من مجالات إبداعه، مع التركيز على أعمال السنوات الأخيرة، التي تنوعّت بين اللوحات الزيتية الكبيرة وبطاقات الرسم الصغيرة.

شريف الشافعي
كاتب مصري

القاهرة – لا يكتفي الفن الثري بتجسيد ما هو كائن أو استدعاء ما كان، لكن سؤاله الأصعب يبقى متعلقا دائما بما سيكون أو ما ينبغي أن يتحقّق، ولكل صاحب مدرسة أصيلة أو تيار فني خلاّق قدرته الاستثنائية على تخليق هذا العالم الموازي، الذي يمزّق فيه كل الأقنعة، ويقترح بين أرضه وسمائه سمات الحياة ووجوه الأحياء وفق رؤيته الفردية الخاصة.

ومن هؤلاء الفنانين أصحاب البصمة اللافتة، التشكيلي المصري المخضرم جورج بهجوري، ابن قرية بهجورة في نجع حمادي بأقصى جنوب مصر، الذي تنبع جذور أعماله من واقع محلي صرف، وشأن مصري وهمّ وطني ومجتمعي خالص، لكنه في الوقت نفسه يعقد رهانه الأول على التمرّد والتغيير والمخالفة، وربما السخرية والانتقاد، فالحياة ببساطة تستحق أن تُعاش، بتضخيم حلوها وتجاوز مُرّها، والصور اليومية القاتمة التي أمامنا، من حق الفن، وواجبه، أن يلوّنها ويُنعشها ويحقنها بمحفزات الأمل والتفاؤل.

يحمل معرض "جورج بهجوري.. 88 عاما من الفن"، الذي افتتح مؤخرا بالقاهرة، ويتواصل حتى 2 يناير القادم، خلاصة تجربته الزاخمة، وتمثل أعماله الأخيرة رؤيته للواقع الراهن الذي لا يرضى عنه، وللبشر المقهورين المطحونين، الذين يحضهم على التماسك والمقاومة. ويرى الفنان في حديثه لـ"العرب" أن الحرية هي الحل في معترك الحياة، وأن الفن المتمرّد هو نافذة الخلاص ومفتاح استعادة الهوية الغائبة.

مآزق وحلول

حفلت أعمال بهجوري الجديدة بالطاقة المشعة والحركة والصخب، والألوان المتفجرة، بما يوحي بالرغبة في اقتناص الحياة المتعثرة اقتناصا مباشرا بقبضة اليد، من بين أطلال العالم المنهار. وتسلل الفنان إلى فكرته من خلال تشبثه بأجواء السعادة ومشاهد المرح واللهو والغناء كالمقاهي، كرة القدم، حفلات أم كلثوم وفيروز، الأفراح، المناسبات الاجتماعية.. إلخ، في مواجهة معالم الحياة الاعتيادية التي صارت مقتصرة على الوجوم والكآبة والفردية واللهاث خلف لقمة العيش.

واقتصرت أعمال الكاريكاتير بالمعرض على رسوم استعادية، حيث لم يقدّم بهجوري الجديد في الكاريكاتير خلال الفترة الماضية، والذي كان واحدا من الكبار المتفرّدين في هذا المضمار، وعمل كرسام كاريكاتيري محترف ما بين عامي 1953 و1975 في مجلتي "روز اليوسف" و"صباح الخير" في العصر الذهبي لفن التهكم والسخرية والغوص تحت الجلد لكشف الأوجاع الكامنة.

جورج بهجوري

الفن مثل الواقع بحاجة إلى ثورة، والكفاح وقود الإبداع

وعن اكتفائه بالتصوير والرسم والكولاج، وبعده عن الكاريكاتير، يشير بهجوري لـ"العرب"، إلى أن الواقع المحيط له دور في اختيارات الفنان وتوجهاته المرحلية، ويقول "لا قيمة للكاريكاتير دون مناخ الحرية، وباختصار ووضوح فإن الحرية قد غابت في مصر، ولذلك ضاع فن الكاريكاتير، وصار بلا روح ولا تأثير، وما يُنشر منه حاليا في الصحف مجرد رسوم روتينية باهتة تفتقر إلى الجرأة والنبض ولا طائل من ورائها، طالما أنها غير مسموح لها بأن تناقش أمورا جوهرية ومصيرية".

ويوضح الفنان المخضرم، أنه لهذا السبب اتجه إلى الرسم والتصوير والمعارض الحرة "لا داعي للمبالغة والتضخيم والمفارقة، فلن تقبل الصحف ذلك، وليكن البديل في فنون الواقع وما يفرزه من زخم"، ونصح الفنانين الشباب بأن يكونوا أكثر تمرّدا وشراسة، وبألاّ يستسلموا للأمر المفروض، قائلا "حركة الفن مثلها مثل حركة الواقع بحاجة إلى ثورة وتغيير، فلا فن بغير جرأة وحق في التعبير وإبداء الرأي وتوصيل الحالة بغير شروط. الحرية هي الحل لكل الأزمات". ويقترح بهجوري، الفن كحل آخر سحري للخلاص من المآزق، والفكاك من القيود، واستعادة الهوية الغائبة، والحيوية المفقودة، بشرط أن يكون فنا متمرّدا على قوانين الحياة ومشاهد الواقع السوداوية الكابوسية. ويضيف "من كفاح البشر ومقاومتهم وإصرارهم، ومن نبض الشارع، يستمد الفنان عزيمته، لكن عليه إيجاد الحياة الحقيقية وتمريرها لهؤلاء التعساء والمقهورين والمحرومين".

عدوانية مبرّرة

يبرّر جورج بهجوري ما يمكن وصفه بالشراسة والعدوانية والتشويه في بعض لوحاته الأخيرة، إزاء تعاطيه مع شخصيات المجتمع المصري التي تستسلم لاحباطات الواقع والمتغيرات الطارئة، وترضى بابتلاع الهموم، ولا تسعى إلى التغيير واستبدال العزلة والتذمّر والعصبية بالبراءة والبهجة والدفء الإنساني والطمأنينة والمرح.

ويقول في حديثه مع "العرب"، "نعم، الشعب المنكسر السلبي الراضخ لا يعجبني، فلأهاجمه حتى يستفيق، ولأصوّر الحيوية والإيجابية، أعني الجانب الآخر من المشهد".

وحول هذا الجانب المضيء، المشرق، المبهج، دارت أغلبية لوحات بهجوري الجديدة وبطاقاته الأخيرة، وهي أعمال تتعلّق بحق الشعب في أن يعيش ويسعد رغم كل الضغوط والإخفاقات، وتقترن لحظات السعادة لدى الفنان دائما بالانطلاق والانفلات والتمسّك بمقومات الشخصية المصرية القادرة على الابتسام والغناء في أحلك الظروف ومقاومة الآلام بالسخرية منها وتجاوزها.

ولجأ الفنان المصري إلى ضم الماضي والحاضر والمستقبل في منظومة واحدة، فهو يستعيد مصر زمان التي يفهمها ويعشقها، لبساطتها وعمقها وثرائها وأجوائها الاحتفالية وشخصياتها العادية البريئة وأيضا الاستثنائية المثقّفة، كما في اللوحة التي جمع فيها بورتريهات: طه حسين، نجيب محفوظ، توفيق الحكيم، يوسف إدريس، سيد درويش، أم كلثوم، صلاح جاهين، عبدالحليم حافظ، محمود سعيد، وفي الوقت نفسه فإنه سعى إلى تحريف "مصر الآن"، التي يرفضها، وفق مخيلته الراقصة الزاهية، أملا في صياغة مغايرة لمصر الغد التي يحلم بها، قائلا "عاوز (أحب) الشعب يعيش، مش عاجبني (لا يعجبني) اللي جرى للمصريين".

معرض الفنان المصري المخضرم يعكس رؤيته للمتغيرات المجتمعية، ويدعو إلى استعادة البراءة والبهجة

يعيد بهجوري الكثير من التحولات المجتمعية السلبية إلى تضييق هامش التعبير، وقسوة العوامل الاقتصادية التي قتلت الوقت وانتهكت الطاقة الإنسانية، فصار البشر عبيد احتياجاتهم اليومية.

ويشير إلى أن، "الناس يعانون ما يشبه الذهول واللامبالاة من فرط التعب والمكابدة، أتأمل هذه الهموم والمعاناة والأحزان في وجوههم، أتعجب من صعوبة ما جرى، أفتش تحت الأسطح عن الروح والنبض والإيقاع والجوهر الكامن، وأتمنى بريشتي وألواني أن أقدم القليل لأساعدهم في نزع الأقنعة".

الحياة الشعبية في الأقصر